الاهـــداء

- إلى خاتم النبيين وقائد المجاهدين محمد رسول الله ﷺ.

- إلى وطني الغالي فلسطين.

- إلى روح كل شهيد، وإلى كل الذين يناضلون من أجل تحرير فلسطين.

- إلى والديّ اللذين ربّياني صغيراً وعلّماني كبيراً.

- إلى أساتذتي الذين نهلت من علمهم الغزير وأدبهم الوفير.

- إلى زوجتي وأبنائي، وما أكثر خدماتهم لي إبّان إعداد هذا الكتاب.

- إلى كل مؤمن يعمل لخدمة وطنه ومجتمعه.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي كتابي هذا.

محمد عبد عبد الله عطوات

obeikandl.com

تقديم

من التآليف الكثيرة في تراثنا الإسلامي ـ التي أفرد أصحابها أبواباً منها، قائمة بنفسها، «في فضل العلم» في الإسلام ـ سِفْرُ الإمام «الغزالي» الشهير: «إحياء علوم الدِّين».

ومن الأحاديث النبوية الشريفة الواردة ثمة، في هذا الشأن، ما رواه «أبو الدرداء»: «مَنْ رأى أنَّ الغدوَّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نُقِصَ في رأيه وعقله».

ويقيناً أن مؤلف هذه الرسالة، الموسوعة بعنوان: «الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر: ١٩١٨ ـ ١٩٦٨»، الدكتور محمد عطوات، كان في مراحل تأليفها جميعاً مجاهداً علمياً مجمِّع القلب والعزم، على أنه حسن التخطيط والإعداد والتصميم، لا تثنيه عن قصده الصعاب الكثيرة، وإن تنوَّعت.

ثبت في نضاله المتشعِّب المسالك كما يثبت الصخر في وجه عاتية الرِّياح.

أقبل الدكتور عطوات على بحثه العلمي فقارَبَ جهدُهُ جهدَ الباحث الموسوعي، أو كاد؛ إذ اقتفى نتاجاً شعرياً متَّصلاً من عمر الأدب الفلسطيني في حقبة لعلَّها أحفل حقبة بالبواعث الوطنية والاجتماعية والفكرية.

وإنه لجدير أن يكون بهذا الصنيع معدوداً من روَّاد البحث في الأدب الفلسطيني المعاصر، ولا سيَّما في شطره الوطني. وكان في ذلك كلِّه متحلِّياً

بصدق الروّاد وأمانتهم، ويقظتهم وحرصهم؛ فأخرج هذا البحث الأكاديمي الذي استحقَّ به شهادة «الدكتوراه اللبنانية» من كلية الآداب في الجامعة اللبنانية.

وجدير بي أن أغتبط بصنيعه هذا اغتباطاً مضاعفاً: حين أَشْرَفْتُ على توجيه هذا البحث بصفتي مشرفاً عليه، وحين نجم من بين يدي صاحبه هذا التأليفُ الأكاديمي القيِّم. وليس أيسرَ خصائصه السبقُ إلى الموضوع، وشمول الاقتفاء، والأناةُ في التمحيص.

*

قال «أندرو جاكسون»: «إن رجلاً واحداً شجاعاً لأكثرية!» وإنّ الدكتور عطوات لكذلك. فكأنه في هذه الرسالة الجامعية حمل اللواء وتقدَّم الجَمْعَ. وهبْ ذلكِ كان فرض كفاية فسقط عن كثيرين، أفلا يكون للمَحْمَدَة أهلاً؟

أسامة عانوتي

بيروت، في ٨/ ٩/ ١٩٩٧م.

*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز مهمتي هذه والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم، وبعد.

فقد وجد العرب في شعرهم القديم ديوانهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم، وكان للشعر دائماً دور حاسم في تاريخهم، وقد ازدادت أهمية الشعر في هذا العصر، لا سيّما وأنّه بات فنّاً للحياة، وسلاحاً في المعركة، ورباطاً متيناً يربط الشاعر بالواقع، وهذا ما زاد شغفي بالأدب عامة والشعر خاصة.

وحين أردت أن أتقدم بموضوع لأطروحة الدكتوراه في الجامعة اللبنانية رست سفينتي على شاطىء بحث عنوانه: «اتجاهات الشعر الفلسطيني المعاصر: الوطنية والقومية والدينية والاجتماعية والاشتراكية، من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨»، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: نشأت في أرض لوبية وحطين[١]، على حبّ الوطن والدين، فارتبط قلبي بهما برباط متين، وبقيت أسعى لخدمتهما في كل حين، ومع شغفي بالأدب العربي منذ زمن، فقد وجدت في هذا البحث ضالّتي، علّني

(١) ذكر أكرم زعيتر أن روابي لوبية وحطّين كانت ساحة معركة حطين، التي خاضها صلاح الدين الأيوبي. مجلة القدس، العدد الثاني، صفر ١٤٠٠ هـ/كانون الثاني ١٩٨٠م، ذكرى حطين ص ٣٠ ـ ٣٣. والعدد الثالث، ربيع الأول ١٤٠٠ هـ/ شباط ١٩٨٠م، ذكرى حطين ص ٣٨ ـ ٤١.

أصيب الحسنيين: إنجاز بحث أدبيّ متكامل، وسدّ ثغرة في صرح الأدب العربي، يمكنني من خلالها إفادة الباحثين، وخدمة وطني الغالي فلسطين.

ثانياً: إنّ الشعب الفلسطيني عريق في النضال، وقد عانى من عدوان اليهود ومكرهم وشرورهم الشيء الكثير منذ زمن بعيد وحتى هذا اليوم، وكان رأس الحربة في معارك صلاح الدين ضدّ الصليبيين، وتصدّى منذ الانتداب البريطاني لمؤامرات بريطانية والصهيونية بكل وسيلة ممكنة، وقدّم في سبيل ذلك أغلى التضحيات، وبات الشعر سلاحاً ضرورياً للمعركة المصيرية القائمة، فرغبت أن أبحث الشعر الفلسطيني واتجاهاته في محيط الأدب العربي من جهة، وأبرز دوره الوطني في قضايا الوطن والجماهير من جهة ثانية.

ثالثاً: أشار الأستاذ مأمون فريز الجزّار[1] إلى استغراب إدارة الرقابة الإعلامية في بلد خليجي صدور ديوان شعر فلسطيني إسلاميّ النزعة، لأنه لا يعرف من الشعراء الفلسطينيين إلا الاتجاه اليساري والماركسي داخل الأرض المحتلة وخارجها، فأصدر بدوره كتيّباً حول الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني، واتضح له ولنا أن الشعر الإسلامي غزير، وهناك شعراء فلسطينيون ذوو نزعة إسلامية بارزة[2] كرّسوا الكثير من شعرهم في هذا الاتجاه، عدا شعراء آخرين اشتملت قصائدهم على عدد قليل أو كثير من الأبيات في الاتجاه الديني...، فطمحت إلى التدليل على حضور كبير لهذا الاتجاه في الشعر الفلسطيني، لا سيما وأنه بلد يشتهر بالأماكن المقدسة، وأرضه هي أرض الأنبياء والصحابة والمؤمنين، بمن فيهم الشعراء العرب.

---

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥ و٦. دار البشير، عمّان، ط١ (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

(٢) انظر أسماء عدد من هؤلاء في كتاب حسني جرّار وأحمد الجدع: «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ج١ ـ ٨». مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

رابعاً: إن الشعر الفلسطيني ليس طارئاً ولا متطفّلاً على الأدب، ونحن لم ننتحل حياة مفقودة لأدب هذا القطر، وإنما نبحث حياة أدبية أصيلة، وجديرة بالدرس، لنبرز دور الأدب الملتزم والفاعل، على كل المقاييس، ولكن عملية المدّ والجزر تخضع لظروف هذا البلد القاسية.. وقد اشتهر عدد كبير من أعلام الأدب العربي في فلسطين منذ القرن الرابع الهجري والقرون التي تلته، منهم: الشاعر كشاجم الرملي (ت ٣٥٠هـ)، والشاعر أبو إسحاق الغزّي (ت ٥٢٤ هـ)، والأديب القيسراني (ت ٥٤٨ هـ)، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، والقاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ)، وصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣ هـ) وغيرهم، فضلاً عن قضاة وفقهاء وأطباء ومهندسين وقادة فاتحين، أشهرهم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، إمام أهل السنة (ت ٢٠٤ هـ)، وموسى بن نُصَير، صاحب فتوحات الأندلس.

وفي هذا القرن برز شعراء وكتّاب كثر، في مقدمتهم الشعراء: يوسف النبهاني، علي الريماوي، سليم اليعقوبي، اسكندر الخوري البيتجالي، برهان الدين العبّوشي، إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، مطلق عبد الخالق، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، محمد العدناني، محمود سليم الحوت، هارون هاشم رشيد، محيي الدين الحاج عيسى، يوسف الخطيب، حسن البحيري، فدوى طوقان، محمود درويش، توفيق زياد، سميح القاسم، حنّا أبو حنّا، كمال ناصر، راشد حسين.

خامساً: بالرغم من وفرة الأبحاث في الاتجاهات الأدبية والقومية والوطنية والشعرية في الوطن العربي، إلا أنني لم أجد أحداً قد أفرد بحثاً أكاديمياً متكاملاً في «الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر»، أو «الاتجاه الديني»، أو «الاتجاه القومي»، وإذا استثنينا كتابيّ: «الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث» لمحمد عليان، و«الاتجاهات الفنية

في الشعر الفلسطيني المعاصر» لكامل السوافيري، فإن ما جاء في غيرهما لا يعدو أن يكون خليطاً سريعاً أو الماحات خاطفة. . . ، ولفترة زمنية أقلّ من الفترة الزمنية التي اعتمدناها في بحثنا، من سنة ١٩١٨م، يوم رزحت فلسطين في ظلّ الانتداب البريطاني، وحتى سنة ١٩٦٨م، بعيد وقوع باقي أجزاء فلسطين في ظل الاحتلال الإسرائيلي البغيض، بعد جهاد طويل ومرير، امتدّ زهاء خمسين عاماً، ليدخل مرحلة جديدة من النضال، جديرة بأن يفرد لها بحث خاص، وأهم الأبحاث السابقة هي:

أ ـ «محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن»، ألقاها الدكتور ناصر الدين الأسد.

ب ـ «محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن»، ألقاها الدكتور ناصر الدين الأسد.

ج ـ «الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين»، لعبد الرحمن الكيالي.

د ـ «في شعر النكبة»، لصالح الأشتر.

هـ ـ«أدب المقاومة في فلسطين المحتلة»، لغسان كنفاني.

و ـ «الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال» لغسان كنفاني.

ز ـ «حياة الأدب الفلسطيني الحديث في أول النهضة حتى النكبة»، لعبد الرحمن ياغي.

غير أن هذه الأبحاث جميعها لم تتعرض لدراسة وافية ومنظمة للاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطني لمعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨، وأنّ ما ورد فيها كان منسجماً وروح الدراسة لتي قام بها هذا الباحث أو ذاك.

وشعوراً منّا بأهمية الاتجاهات الوطنية وضرورة سدّ ما ينجم عن غيابها من ثغرات تولّينا تحمّل هذه المسؤولية، وغايتنا أبعد من حدود الكلمات التي

ـ وحدها ـ لا تداوي جروح الجماهير الفلسطينية، ولا تحرّر لها وطناً، وإنما نرمي ونطمح إلى نضج مهمّة الأدب والبندقية معاً، حتى لا نقف وسائر العرب عند حدود مبدإ «الفن للفن»، بعيداً عن مبدإ «الفن للحياة»، وبعيداً عن واقعنا وواجبنا، وتتحوّل عندئذ جهودنا سراباً برّاقاً، ثم تصبح نسياً منسياً.

والواقع أن عدَّة فصول من بحثنا تستحق أن يفرد لكل منها بحث أو كتاب خاص، ولمّا سعيت جاهداً للاطلاع على أهم المصادر والمراجع المتصلة ببحثي، واجهت مصاعب جمّة أهمّها ما يلي:

١ ـ صعوبة التنقل والوصول إلى مختلف المكتبات العربية من جهة، ومقابلة شعراء بارزين في الأرض المحتلة وعدد من الأقطار العربية من جهة ثانية، فاستعضت عن ذلك بالاتصال ببعض الأدباء والأصدقاء الفلسطينيين في دمشق وعمّان وبغداد والقاهرة، فأمدّوني ـ مشكورين ـ بالنصح والإرشاد، والمصادر التي طلبتها..

٢ ـ تعذّر عليّ الاطلاع على بعض مخطوطات رسائل جامعية في مصر، أهمّها رسالة دكتوراه مخطوطة بعنوان: «شعر المقاومة الفلسطينية»، لحسني محمود حسين، في جامعة القاهرة، رغم اتصالات أجريتها بمكتبة جامعة القاهرة.

٣ ـ لم أتمكن من الاطلاع على الأعداد اللاّزمة من مجلة النفائس العصرية، حيث لا يوجد منها في مكتبة الجامعة الأميركية سوى الجزءين الخامس والسادس فقط.

٤ ـ العمل في ظروف قاسية ومتقلّبة في بيروت، وهنا أَوَدُّ القول:

إن صلتي بهذا البحث لافتة للنظر، وأعتقد بكل تواضع أن القدر

شرّفني به عاملاً، ولحكم كثيرة، في مقدمتها معايشتي لقضيتي وأدبها يوماً بعد يوم.

لقد سُلِخت عن وطني صبياً. وتقلّبت في جحيم مخيمت جنوب لبنان الشقية المناضلة، التي واجهت القوات الاسرائيلية الباغية برّاً وبحراً وجوّاً بصبر وإيمان، ثمّ أقمت عند مداخل صبرا وشاتيلا منذ عام ١٩٧٩ بغية متابعة الدراسات العليا. . ، وشهدت تصدّي المقاتلين للقوات الإسرائيلية عام ١٩٨٢، وحصار بيروت، ثم اجتياحها، وارتكاب المجازر في صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢، والحروب اللاحقة، وسُهمت في تربية الأجيال من الطلاب على مبادىء التربية الدينية والخلقية والوطنية قبل تلقين المواد العلمية، وأصبحت كسائر جماهير النازحين بركاناً متفجراً بالغضب والنقمة على قوى البغي والظلم المحتلة لأرضنا، المنكّلة بشعبنا، الهادر بالانتفاضة الباسلة، المنتظر انطلاقة هذه الأمة في ثورة عارمة تسحق دولة العدوان، وتطهّر فلسطين ومسرى النبي العدنان، وتخلّص الشعب المقاتل الجريح من العذاب والطغيان.

بعد أن خبرت أدب القضية التي عشتها وجدتُ أن الشعر الفلسطيني شعر ملتزم بقضايا الشعب والوطن، مميّز بالاتجاهات الوطنية والدينية والقومية والاجتماعية، وأيقنت أني من أَولى الباحثين بتولي هذه المهمة، فانتدبت نفسي لها راضياً مرضياً، كي أسهم ببحث مفيد، علّه يشكل لبنة في صرح الأدب العربي، ويكون إسهاماً في حركة النضال الوطني ضد الصهيونية الباغية.

أمّا منهجي في هذه الدراسة، فقد حاولت أن أجمع فيه بين المنهج التاريخي والمنهج الفنّي ومدرسة الواقعية الثورية في الأدب، وأقمت تخطيط دراستي على أسس تتناسب وهذا المنهج، وجعلتها في مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

في المقدمة تناولت أسباب اختياري لهذا البحث، ثم ذكرت أهم مصادره، والصعوبات التي واجهتني، والخطة التي اتبعتها في البحث.

أما التمهيد فقد كرّسته للمحات عن فلسطين، موقعاً وتاريخاً وأحداثاً، بهدف الكشف عن عوامل مهمة تؤثر في تفكير الشاعر، وتكوينه النفسي ومن ثمّ في شعره.

وأفردت الباب الأول للشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨، وقسّمته إلى أربعة فصول:

في الفصل الأول قدّمت صورة عن الحياة الثقافية في فلسطين.

وفي الفصل الثاني أشرت إلى الشعر الفلسطيني قبل فترة البحث.

وفي الفصل الثالث تحدّثت عن الشعر الفلسطيني إبّان مرحلة الانتداب البريطاني من ١٩١٨ إلى ١٩٤٨م؛ ثم ألحقت به صورة موجزة عن الشعر الشعبي الفلسطيني ـ علماً أنه ليس موضوع بحثنا ـ وأشرت إلى الدور الذي قام به هذا الشعر في تلك المرحلة حتى نكبة ١٩٤٨م.

وفي الفصل الرابع تحدّثت عن الشعر الفلسطيني ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٨م.

ولمّا كان الاتجاه الوطني يشبه نهراً كبيراً تصبّ في مجراه روافد عدّة هي الاتجاهات الوطنية والقومية والدينية والاجتماعية والاشتراكية، ولمّا كان بحث هذه الاتجاهات في باب واحد يؤدّي إلى تضخم نحن في غنى عنه، فقد فضّلت بحثها في بابين، فخصصت الباب الثاني لبحث الاتجاهين الرئيسيين الوطني والوطني القومي في الشعر الفلسطيني، من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٦٨، وقسّمته إلى فصلين: في الفصل الأول بحثت الاتجاه الوطني في الشعر المعاصر.

وفي الفصل الثاني بحثت الاتجاه الوطني القومي في لشعر الفلسطيني المعاصر.

وخصّصتُ الباب الثالث لبحث الاتجاهات الوطنية الدينية والاجتماعية والاشتراكية، من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٦٨م، وقسّمته إلى ثلاثة فصول:

في الفصل الأول بحثت الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر.

وفي الفصل الثاني بحثت الاتجاه الوطني الاجتماعي في الشعر الفلسطيني المعاصر.

وفي الفصل الثالث بحثت الاتجاه الوطني الاشتراكي في الشعر الفلسطيني المعاصر.

وممّا يجدر ذكره أنني استشهدت بأبيات وقصائد في غير موضع حيث دعت الحاجة.

وخصّصت الباب الرابع لبحث فنيّة الشعر الفلسطيني المعاصر وأغراضه ومظاهر التجديد فيه وطوابعه ومكانته، وقسّمته إلى ثلاثة فصول:

في الفصل الأول بحثت فنيّة الشعر الفلسطيني المعاصر، وأوليت اهتماماً خاصاً لدراسة لسمات والملامح التعبيرية فيه، فضلاً عن دراسة التصوير والخيال.

وفي الفصل الثاني حدّدت أغراض الشعر الفلسطيني ومظاهر التجديد فيه وطوابعه.

وفي الفصل الثالث بحثت مكانة الشعر الوطني الفلسطيني في ديوان الشعر العربي والعالمي.

وفي الخاتمة عرضت لأهم نتائج البحث وتقويمها، وأهم الآراء والصور التي كشفتها.

وقد اعتمدت في دراستي على مصادر عديدة ما بين منشورة وغير منشورة، سواء في طريق الاطلاع عليها في مختلف مكتبات بيروت، وأهمها: مكتبة الجامعة الأميركية، ومكتبة جامعة بيروت العربية، ومكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أو من طريق ابتياع قسم كبير منها، وتصوير قسم آخر واقتنائه في مكتبتي الخاصة. واعتمدت أيضاً على ما يلي:

١ ـ مقابلة عدد من الشعراء في مقدمتهم الشاعر الكبير محمود سليم الحوت، وعدد آخر من الأدباء والأساتذة الجامعيين والكتّاب، وفي مقدمتهم: عمر فرّوخ (رحمه الله)، ثريا ملحس، محمد زكي العشماي، أحمد أبو حاقة، إحسان عباس، محمد يوسف نجم، أنيس صايغ، فأمدّوني بفيض من علمهم الغزير ونصحهم الثمين.

٢ ـ الاطلاع على بعض الرسائل والأبحاث المخطوطة، التي لها صلة بالبحث، في مقدمتها مخطوطة بعنوان: «شعر المقاومة الفلسطينية في النقد العربي الحديث» لشوقي بزيع، ومخطوطة قصائد مستقلة ليوسف الخطيب، بعنوان: «مختارات من الأعمال الشعرية الكاملة».

٣ ـ الاتصال بأدباء وشعراء فلسطينيين في بعض الأقطار العربية، في مقدمتهم: الدكتور عبد الرحمن ياغي، والدكتور هاشم ياغي، والدكتور كامل السوافيري، والشاعر يوسف الخطيب، والأستاذ شفيق الحوت، فزوّدوني ببعض مؤلفاتهم المهمة، ونفحوني بارشاداتهم القيّمة مشكورين.

٤ ـ الاطلاع على كتب تتناول أعلام الشعر والأدب في فلسطين، مثل كتاب يعقوب العودات: «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين»، وكتاب عجاج نويهض: «رجال من بلادي»، و«الموسوعة الفلسطينية»، لهيئة الموسوعة الفلسطينية، وكتاب أدهم الجندي: «أعلام الفن والأدب»، وكتاب أحمد قبّش: «تاريخ الشعر العربي الحديث» وغيرها.

٥ ـ تأمين مصادر أخرى مهمة من دمشق وعمّان وبغداد والقاهرة.

ومن هنا فقد توافرت لديّ مادة غزيرة، ساعدتني على كشف الجوانب المستهدفة في البحث.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل، وأطيب التمنيات، مقرونة بالحب والتقدير والعرفان بالجميل، إلى أستادي المشرف الدكتور أسامة عانوتي، الذي غمرني بكرم أخلاقه، وأمدّني بفيض من علمه الغزير، ونصحه الوفير، ممّا شجعني وساعدني على إنجاز هذه الرسالة على الوجه الذي انتهت إليه.

كما أتوجه بالشكر وأصدق مشاعر التقدير لجميع الذين قدّموا لي إرشادات وتوجيهات مفيدة، وسهّلوا لي سبل الاطّلاع على المصادر والمراجع والمخطوطات التي تتصل بهذا البحث.

ولا يفوتني أن أنوّه بالتعاون الصادق الذي أبداه لي القائمون على مكتبات بيروت المختلفة، ودور النشر فيها. جزى الله عنّا جميع هؤلاء خير جزاء.

ربّي إني توكّلت عليك، وبذلت الجهد المتواصل المتواضع في ظروف قاسية، علّني أصيب أجرين، وإن أخطأت فإنك لا تحرمني أجراً، والكمال لك وحدك.

والله أسأل أن يلهمني دائماً سبل الرشد والسداد.

محمد عبد عبد الله عطوات

بيروت في ٣٠ شوّال ١٤١٠هـ

الموافق ٢٥ أيار ١٩٩٠ م